دور الأوقاف في دعم النشاط التعليمي بالجزائر دراسة تاريخية

أ.شبيرة سفيان

المركز الجامعي غليزان

Abstract:

Considered endowments or habs also termed when the people of the Muslim west of the most important aspects of Islamic civilization, they reflect the will of the good with the individual Muslim, and most of the deep sense of the need for solidarity with the community to fill their needs.

Endowments are the legitimate principle, and binding judicial formula prevents a person from returning from his contract with the originator of this institution. And have gained a prominent place, through its impact on various aspects of life.

Perhaps one of the most prominent of these aspects, the educational face upon which the intellectual life and education.

Keywords:

Islamic civilization - Information – Solidarity – Foundation- Educational activity.

تعتبر الأوقاف أو الأحباس . كما اصطلح على تسميتها عند أهل الغرب الإسلامي . من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية ، فهي تعبر عن إرادة الخير لدى الفرد المسلم ، و الأكثر من ذلك عن إحساسه العميق بضرورة التضامن مع

المجتمع لسدِ حاجياته ، تقوم . الأوقاف . على مبدأ شرعي ، و صيغة قضائية ملزمة تمنع صاحبها من الرجوع عن عقده المنشئ لها .

و قد اكتسبت هذه المؤسسة مكانة مرموقة ، من خلال تأثيرها على مختلف أوجه الحياة ، و لعل من بين أبرز تلك الأوجه ، الوجه التعليمي الذي تقوم عليه الحياة الفكرية و التربوية ، و التنمية بمختلف أبعادها البشرية والاقتصادية ، ليس في العصور التي قامت فقط ، بل حتى في العصور الغابرة ، لذلك فقد قامت هذه المؤسسة بدور رائد في سدِ حاجيات المشتغلين بالتعليم من فقهاء و طلبة و معلمين ، و تغطية نفقات تسيير وتجهيز المدارس و الزوايا .

و عليه يمكن القول أن الأوقاف في الجزائر أدت دورا هاما في دعم العملية التعليمية من مختلف نواحيها ، برز ذلك أكثر خلال الفترة العثمانية ، نتيجة تشجيع الحكام العثمانيين لعملية الوقف (أي حبس الأموال والأملاك عن التصرف) ، و مبادرتهم بوقف الأملاك و الأموال من خلال بناء المدارس والزوايا ، كيفما كان الغرض من ذلك سواء كان من الباب التودد للسكان وكسبهم إلى صفهم ، أو كان الغرض خيريا محضا .

و منه تأتي هذه الورقة البحثية لتسليط الظر على إشكالية تحديد الدور الذي قامت بها الأحباس في دعم النشاط التعليمي في الجزائر ، باعتبارها المصدر الأول و الأساسي لتمويل العملية التعليمية في الجزائر خلال الفترة التي سبقت مجيء الغزاة الفرنسيين .

مبحث تمهيدي : تعريف الوقف و بيان أنواعه

أولا : تعريف الوقف

اختلف أهل العلم في بيان معنى الوقف وذلك لاختلافهم في طبيعة العقد ذاته من حيث اللزوم وعدمه، وانتقال ملكية المال الموقوف، وهل

الوقف عقد تعتبر فيه إرادة المتعاقدين أم أنه إسقاط ؟ فجاء كل تعريف ليعبر عن الوجهة التي اختارها صاحب التعريف محددا فيه هذه العناصر حسب الوجهة التي يراها مذهبه .

و باستعراض التعاريف الفقهاء [1]للوقف يمكن القول أنها جميعا يدور معناها حول حبس العين فلا يتصرف فيها بالبيع والرهن والهبة ولا تنتقل بالميراث ، والمنفعة فيه تصرف لجهات الوقف على مقتضى شروط الواقف ، لذلك يمكن القول إن أجمع و أدق و أرجح تعريف من التعريفات السابقة هو التعريف الذي ذكره ابن قدامة بقوله إن الوقف هو : ((تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة)) ، و سبب الترجيح يعود إلى الأسباب الآتية :

إن هذا التعريف مقتبس من الحديث النبوي الشريف الآنف الذكر حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حبس الأصل و سبل الثمرة ، و النبي صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم بداهة أفصح الناس لسانا و أقدرهم بيانا .

إن هذا التعريف لم يسبق أن اعترض عليه من قبل العلماء كما اعترض على تعاريف المذاهب الأخرى.

امتاز هذا التعريف بأنه اقتصر على ذكر حقيقة الوقف فقط ، ولم يدخل في تفصيلات أخرى ، ذلك أن دخول هذه التفصيلات من شأنها أن تخرج التعريف عن دلالته ، وإبعاده عن الغرض الذي وضع من أجله [2].

ثانيا : أنواع الوقف

ينقسم الوقف باعتبار الجهة الموقوف عليها أو الهدف المرجو منه ابتداء إلى وقف خيري ووقف ذري ، وهذا التقسيم حديث وضعته الحكومات الحديثة [3] ، إذ لم يكن في عهد الصحابة ولا في العصور الأولى تمييز بين الوقف الخيري و الوقف الذري ، إذ أنهم لم يفرقوا بين وقف الإنسان على

ذر ِيته وقرابته ، وبين وقفه على جهات الخير و البر عامة على اعتبار أن الوقف هو نوع من أنواع الصدقات التي حث الشارع على فعلها و ندب القيام بها ، بل كانت الأوقاف معروفة بالصدقات ، و الحديث الذي استدل به الفقهاء على مشروعية الوقف إنما عبر عن الوقف باسم الصدقة ، وكذلك كتب أوقاف الصحابة كلها عبرت عن الوقف بالصدقة [4] ، فالتقسيم إذا ليس فقهيا ينبني عليه الاختلاف في الأحكام ، وإنما هو ضرورة الإجراءات القضائية الحكومية المعروفة ، وبتعبير آخر هو تقسيم إداري ، ويمكن القول أن هذا التقسيم أول ما ظهر كان في عهد المماليك كما نقل عن المقريزي [5] في خططه ، دعت إليه اتساع الأوقاف واختلاف جهة مصارفها .

و يقصد بالوقف الخيري تحبيس العين وجعل غلتها أو منافعها في سبيل وجوه البر و الإحسان ، ابتداء وانتهاء ؛ أي أن يجعل وقفه منذ البداية في مجال الخير و الثواب ، كأن يكون على الفقراء و المساكين وهم معينون غير محصورين ، أو أن يكون لصالح مسجد معين أو مدرسة أو ملجأ للأيتام أو غير ذلك من وجوه البر و الإحسان ، وفي جميع الأحوال لا يكون ريع الوقف أو منافعه لشخص طبيعي معين ، بل لمؤسسة عامة أو خاصة أو قربة في سبيل الله .

وأما الوقف الأهلي (الذري) فهو ما جعل حبسا على الأولاد أو الأحفاد، أو على الأولاد الذكور دون الإناث ما تناسلوا ، أو على أقاربه المعينين ما تناسلوا ، ويسمى أيضا الوقف الأهلي ، نسبة إلى الأهل وهم الذرية ، والموقوف عليهم قد يكونون :

أ/ معينين بالذات ، كأيمن ومحمد و إبراهيم أولاد فلان .

ب/ أو معينين بالوصف ، كأولاده أو أولاد فلان ، أو نساء قومه المطلقات ، أو المتوفى عنهن أزواجهن[6].

المبحث الأول : المؤسسات الوقفية التعليمية في الجزائر

إن أبرز مؤسسة تولت عملية التعليم في الجزائر هي مؤسسة الزوايا ، حيث يكاد الباحث لا يجد مصطلحا آخر غير مصطلح الزاوية ، في إطار البحث عن المؤسسات التعليمية التي عرفتها الجزائر ، وبالأخص قبل العهد العثماني .

أما في العهد العثماني فقد ظهرت مؤسسات تعليمية تحمل اسم المدرسة مثل : مدرسة سيدي أبي مدين ، و المدرسة التاشفينية [7]، و مدرسة ولدا الإمام بتلمسان [8]، و مدرسة مازونة الفقهية ، و غيرها من المؤسسات التعليمية التي حملت تسمية المدرسة .

لكن المتمعن في نظام تسيير هذه المدارس سيجد أنه نفسه النظام الذي كانت تسير به الزوايا ، حيث نجد مثلا الخلوات ن و نجد أن المدرسة تقوم على شيخ واحد في أغلب الحالات هو الذي تسند إليه مهمة تدريس العلوم الشرعية بمختلف أصنافها ، بالإضافة إلى التركيز الكلي على التدريس على المواد الشرعية دون غيرها من المواد الأخرى ، إلا في حالات نادرة جدا .

الأمر الذي يدعونا إلى القول بأن تسمية المدرسة لم تأت بطريقة جديدة في نظام التدريس ، و لا في طريقة تمويلها ، إنما الذي حدث هو تغيير التسمية فقط ، و ربما كان ذلك تأثرا بالثقافة العثمانية .

و باصطحاب هذين المصطلحين ، و البحث في الأوقاف التي خصصت لهما ، نجد أن الزوايا في الجزائر باعتبارها المؤسسات التعليمية الوحيدة لم تنل حظا كبيرا من الأوقاف كالذي نالته الأضرحة أو مؤسسة الحرمين الشريفين مثلا ن فمن بين 224 عقد وقفي مسجل على مستوى مركز الأرشيف الوطني ، يخص عقود الأوقاف في الجزائر العاصمة ، لا نجد إلا 35 عقدا وقفيا فقط لصالح الزوايا ؛ أي بنسبة 15.62 ٪ حسب بعض الدراسات

،مع العلم أن مدينة الجزائر العاصمة . على كثرة سكانها . كانت قليلة الأضرحة مقارنة بباقي مدن الجزائر ، و بالأخص مدن الجنوب و الغرب الجزائري .

و لعل السبب في ذلك راجع إلى أن الزوايا كانت عادة لا يقوم بتأسي الأوقاف لصالحها إلا مؤسسوها ، بينما الأضرحة فقد كانت جميع الفئات المجتمعية تقوم بتأسي الأضرحة لصالحها ، لما كانت تعتقده في الأولياء الصالحين ، و بالأخص المشهورين منهم [9].

هذا و إذا أردنا الرجوع إلى التاريخ المحدد لظهور الأوقاف الخاصة بالزوايا و المدارس التعليمية ، فإنه يمكن القول بصفة عامة أنها ترجع إلى العصور الأولى من دخول الفاتحين إلى هذه البلاد ، و انتشار المساجد التي تكلفت بتعليم الناس أمور دينهم.

أما المسجلة منها فإنه ترجع أقدم وثيقة وقفية في الجزائر تخص الوقف على مؤسسة تعليمية إلى سنة 906 هـ / 1500 م ، و هي الوثيقة الخاصة بمسجد و مدرسة أبي مدين بتلمسان ، و قد اشتملت هذه الوقفية على : 9 بساتين ، 4 مزارع ، قطعتا أرض ، طاحونتان ، حمام واحد داخل تلمسان ، ونصف حمام قديم بالمنصورة ، بالإضافة إلى نصف بستان وقطعة أرض للحراثة تقدر مساحتها بعشر زويجات (100 هكتار) ، وأرض صالحة للزراعة تقدر مساحتها بعشرين زويجة (200 هكتار) [10].

و تذكر بعض الدراسات أن 62 ٪ من عقود الأوقاف الخاصة بالزوايا في الجزائر تأسست في القرن الثامن عشر ميلادي ، و انعدمت الأوقاف المسجلة خلال الفترة الاستعمارية [11].

و من الأمثلة التي تخص الوقف على الزوايا في الجزائر نذكر مثلا :

***وقف زاوية الشيخ الزياني :** في سنة 1087 هـ / 1677 م ، قام السيد أبو عبد الله السيد الحاج محمد ، بوقف جميع " الزواج " الستة المعدة

للحراثة على زاوية الشيخ الزياني بالجزائر العاصمة، والموجودة بوطن سوماتة ، على المذهب الحنفي .

***وقف زاوية الشيخ الرياشي :** في سنة 1105 هـ / 1694 م ، قام السيد محمد بن المرحوم سعيد البكوش بوقف جميع " الزواج " الخمسة المعدة للحراثة على زاوية الشيخ الرياشي بالجزائر العاصمة ، و الموجودة بوطن سوماتة ، على المذهب الحنفي و المالكي [12].

***وقف على طلبة العلم بالجامع الأعظم :** في سنة 1198 هـ / 1784 م ، قام السيد الحاج عبد الكريم بوقف دار تقع بزنقة [13] الشحيح قرب مسجد عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة ، على طلبة العلم بالجامع الأعظم ، على المذهب المالكي [14].

المبحث الثاني : دور الأوقاف في دعم العملية التعليمية بحاضرة مازونة

تعتبر حاضرة مازونة من الحواضر العلمية التي أدت دورا بارزا في إثراء الحياة العلمية و الثقافية بالمغرب الإسلامي عموما ، و المغرب الأوسط خصوصا ، وزاد دور هذه الحاضرة بروزا بمجيء السلطة العثمانية و تأسيس " مدرسة مازونة " التاريخية أو ما يعرف عند البعض بـ : " مدرسة جامع التركمان " ، لكن ما يثير الانتباه هو عزوف الكثير من الباحثين الذين تناولوا هذه الحاضرة بالدراسة و التأصيل ، عن البحث في مصادر تمويل تلك الحركة العلمية و الثقافية التي عرفتها مازونة .

هذا و يذكر بعض الباحثين أن حاضرة مازونة شهدت ثراء وقفيا ملحوظا تفوقت من خلاله حتى على مدن كبيرة في الجزائر على غرار تفوقها على تلمسان و قسنيطنة ، حيث يقول المؤرخ ناصر الدين سعيدوني : (إن وثائق الوقف تكاد تقتصر على الحواضر العلمية الكبرى مثل الجزائر و البليدة و القليعة ، التي تكاد تنفرد بالقسط الأوفر منها ، تليها على الترتيب كل من

مدن : مليانة ، مدية ، شرشال ، مازونة ، تلمسان ، قسنطينة ، معسكر ، مستغانم ، وهران ، عنابة ، بسكرة ، بجاية ، مسيلة ، زمورة ، مع الملاحظة أن المدن الأخيرة ابتداء من وهران من النادر أن نجد لها ذكرا مفصلا)[15] .

و يقول في بحث خاص عن وضعية الحبس بالجزائر أواخر العهد العثماني : ((إن مدنا كثيرة اشتهرت بكثرة أوقافها مثل مازونة و تلمسان ومعسكر و قسنطينة و عنابة و بجاية و مليانة و البليدة و القليعة ...)) .

و يقول باحث آخر : ((... إذن تقدمت مازونة على قسنطينة من حيث تحصيل الأوقاف و تميزت بتفصيل و توثيق ذلك ، علما بأن مداخيلها كانت توزع على المساجد و المدارس و الزوايا و الثكنات والمرافق العامة بالإضافة إلى بعض الطوائف من المجتمع مثل أهل الأندلس والمرابطين والشرفاء والإنكشاريين و أبناء السبيل ، و لعل غالبية سكان الحاضرة آنذاك ، و لعل جل الأراضي الصالحة للزراعة المحيطة بالمدينة و ضواحيها كانت وقفا للسكان ، و المرافق و المؤسسات))[16] .

و لعل ما يؤكد غنى حاضرة مازونة بالوعاء الوقفي هو مكونات السلطة الدينية و ترتيبها السلمي ، حيث كان على رأس هذه السلطة كل من مسؤول الأوقاف الذي كان من آل الخردوس ، و القاضي الكبير بالمحكمة ، فكان الأول يختص بالتنظيم المؤسساتي لكل المؤسسات ذات الصلة بالأوقاف كالمساجد و المصليات والأضرحة و المدارس و الزوايا ، بالإضافة إلى أوقاف أخرى تعود ثمارها على هذه المؤسسات ، أو جهات أخرى ، كما كان يختص هذا المسؤول بتعيين و ترتيب أجور الموظفين داخل هذه المؤسسات من أئمة مساجد ومؤذنيها ، ومعلمي الكتاتيب ، وشيوخ المدارس و الزوايا ، بالإضافة إلى ما يحتاجه الطلبة ، و كان الثاني يختص بالإفتاء والقضاء بين المتخاصمين .

و كان يأتي في المرتبة الثانية بعد مسؤول الأوقاف و القاضي الكبير ، كل من وكيل الوقف ، الفقيه و القاضي [17].

هذا السلم الإداري يؤكد هو الآخر على غنى هذه المؤسسة ، فلو لم يكن الوعاء العقاري الوقفي كبيرا ، لما دعت الضرورة إلى جعل مسؤول الأوقاف على رأس السلطة الدينية بمازونة .

الأوقاف العلمية بحاضرة مازونة :

يمكن القول أن الأوقاف العلمية بمازونة انقسمت إلى صنفين ، صنف تمثل في تلك المؤسسات التعليمية الوقفية أو ما اصطلح على تسميته بالمدارس ، و صنف ثان من الأوقاف تجلى في الأوقاف الخادمة لتلك المؤسسات التعليمية .

أ ــ المؤسسات العلمية الوقفية :

أمام ما يؤكده جل الباحثين في تاريخ السلطة العثمانية في جزائر ، من أن تلك السلطة لم تكن تكاليفها المالية للمرافق العامة العلمية و الدينية ، والخدمات الحضرية على حساب الخزينة العامة و إنما تدفع من قبل مداخيل الأوقاف عن طريق الوكلاء ، يمكن الجزم المؤسسات التعليمية التي عرفتها حاضرة مازونة كانت عبارة عن مؤسسات وقفية ، و لعل من أبرز تلك المؤسسات :

1 ــ مدرسة أبو ماتع و دورها في إحياء الحياة العلمية بمازونة

لقد شهدت مازونة قبل تأسيس مدرستها من قبل الشيخ محمد بن شارف المازوني الأندلسي نشاطا علميا لا يقل ضخامة عن ذلك الذي شهدته المدرسة المازونية بداية القرن الحادي عشر ميلادي ، يرجع الفضل في ذلك . على ما يذكر الباحث بن صديق محمد صاحب كتاب الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة . إلى المدرسة العتيقة التي كانت بالمدينة أو ما يسمى مدرسة

أبو ماتع ، و لقد شهدت هذه المدرسة الوقفية نشاطا علميا منقطع النظير[18] ، تجلت أبرز ملامحه في ذلك العدد الكبير من العلماء الذين أنتجتهم المدرسة من أمثال :

. العلامة الفقيه أبو عمران موسى المازوني صاحب التآليف الكثيرة [19].

. أبو زكريا يحيى بن أبي عمران المازوني ، صاحب الكتاب المشهور " الدرر المكنونة في نوازل مازونة "[20].

. أبو عبد الله الثابتي الذي كان يسميه صاحب البستان يحيى بن ادريس المازوني كان يحفظ 27000 حديثا [21] ، وغيرهم من العلماء الآخرين .

2 ــ مدرسة محمد بن شارف المازوني و دورها في إثراء العلمية

شهد المغرب الأوسط عموما و مازونة خصوصا خلال القرن السادس هجري تحولات سياسية هامة منها قدوم الأتراك و الغارات الإسبانية على السواحل الغربية و نزوح أهل الأندلس ، فاختيرت مازونة أول بايلك للغرب الجزائري قبل معسكر و وهران مما زاد في إشعاعها الثقافي و العلمي ، و من أبرز ملامحه تأسيس مدرسة مازونة من قبل الشيخ محمد بن شارف و هو أحد النازحين من الأندلس سنة 1029 هـ و درس بها 64 سنة ، فشدت إليها الرحال من كل فج عميق ، و ساهمت بشكل عظيم في تدريس المذهب المالكي .

و تكريما لعلمائها الذين ساهموا في الجهاد ضد الإسبان جند الأتراك بناءها مرارا و تكرار ، و لعل من مشاهير طلبة المدرسة :

. أبو راس الناصري حيث بلغ عدد أساتذته أكثر من 41 أستاذا جلهم من حاضرة مازونة .

. محمد بن قندوز المستغانمي خريج مدرسة مازونة ثم الأزهر الشريف و تلميذ الدردير .

. محمد بن علي السنوسي المجاهري صاحب التآليف الكثيرة [22]

. محمد بن عبد المؤمن الرماصي الراشدي الفقيه البارع [23].

بـــ ـــ الأوقاف الخادمة للمؤسسات العلمية الوقفية :

. وقفية الباي محمد الكبير على مدرسة مازونة :

إن الوضع المضطرب الذي عاشته المنطقة الغربية للإيالة العثمانية منذ القرن السادس عشر كان له أثره البارز على نفسية السكان وخاصة العلماء منهم الذين ركزوا كل جهودهم و كتاباتهم للدعوة للجهاد ضد الكفار ، فكانوا يمجدون كل داي أو باي يسعى إلى طرد الإسبان و تحقيق مبتغاهم ، و لعل من أنجح المحاولات التي شارك فيها الطلبة تلك المحاولة التي قادها الباي محمد الكبير حينما أصدر أمرا لتجنيدهم نظرا لوزنهم داخل المجتمع و خاصة في بايلك الغرب الذي عرف انتشارا ملحوظا للطرق الصوفية و الزوايا ، و كان من بين العلماء الذين راسلهم الباي محمد الكبير [24]الشيخ محمد بن علي بن شارف المازوني ، و معه أكثر من مائتي طالب من المدرسة [25].

و إكراما من الباي (محمد الكبير) لطلبة مازونة و شيخهم محمد بن شارف المازوني أهداهم نسخة أصلية من صحيح مسلم كوقف بالمدرسة مازالت موجودة إلى يومنا هذا بمدرسة مازونة [26].

. وقف الكتب : اشتهرت حاضرة مازونة على غرار غيرها من الحواضر العلمية الأخرى بمكتباتها ، التي تضمنت عددا كبيرا من المخطوطات و الكتب ، و قد كان وقف الكتب بالحاضرة يتم بنفس الطريقة التي تتم بها الأوقاف الأخرى ، فالواقف عادة ينص على أن الكتاب وقف في سبيل الله على طلبة العلم بالجامع أو الزاوية ا, المدرسة [27]، و من أبرز الملامح التي توحي بشهرة مكتباتها . كما يذكر ابن المدينة و مؤرخ الفترة العثمانية بالجزائر مولاي بلحميسي . هو أن زوارها من الفقهاء و الأدباء و العلماء و الرحالين جعلوا زيارتها ضرورة علمية لا مفر منها البتة ، و لعل من أبرز العلماء الذي سعدوا

بزيارتها الفقيه المغربي محمد الميسوم ، الشيخ الكتاني ، الشيخ بلغيث والشيخ بسودة المغربي ، و غيرهم كثير [28].

. وقف الدراهم : و مثاله ذلك الوقف الذي كان تحت ناظر الوقف السيد " باش بلكباشي " و الذي يخص دراهم بحيرة [29] " هني محمد بن هني " ، و قدره تسع ريالات دراهم [30] ، خصصت للمدرسة .

. وقف مقهى[31] بالبلدة كان يقدم لطلبة المدرسة الشاي و الفول السوداني ، كل يوم أربعاء بعد الزوال و هم في استراحة من تعب و إرهاق الدروس [32].

المبحث الثالث : مصير الوقف التعليمي بعد الاحتلال الفرنسي

لقد كان لاعتداء المستعمر الفرنسي على المؤسسات التعليمية الأثر البالغ و العميق على تراجع عدد هذه المؤسسات ، و من ثم انتشار الأمية على نطاق واسع ، فقد تعرضت الزوايا إلى نفس أعمال الهدم و البيع و التحويل ، و لقيت نفس مصير المساجد و الجوامع ، و حسب الإحصائيات الفرنسية ، فقد تعرضت 349 زاوية إلى الهدم و الاستيلاء ، ومن أشهر الزوايا التي اندثرت من جراء هذه السياسة زاوية القشاش و الصباغين و المقياسين و الشابرلية ، وقد شعر الساسة الفرنسيون بخطورة ما يمثله التعليم العربي ، فاتجهت أنظارهم إلى المدارس التعليمية فيها ، ثم قطع التموين المالي ، الذي كان يأتيها مـــــــــن الإيراداتالوقفيـــــــــة.

وقد عرفت المدارس نفس المصير ، كمدرسة الجامع الكبير و مدرسة جامع السيدة وكمثال عن التدمير الذي تعرضت له هذه المؤسسات ، نذكر أنه في مدينة عنابة ، كان بها قبل الاحتلال 39 مدرسة إلى جانب المدارس التابعة للمساجد ، لم يبق منها إلا 3 مدارس فقط ، ولقد لخص أحد جنرالات فرنسا في تقريره إلى نابليون الثالث إصرار الإدارة الفرنسية على

محاربة المؤسسات الثقافية الجزائرية ، قائلا : ((يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية ...كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا ... و بعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا و معنويا)) .

و يصف محمد فريد [33] حالة التعليم في الجزائر بعد زيارته لها سنة 1901 م قائلا : ((إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جدا ، و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات ، بل ربما تندرس العربية بالمرة مع مضي الزمن ، فلا الحكومة تسعى في حفظها ، و لا تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس ... هجرت ربوع العلم ، و خربت دور الكتب و صارت الديار مرتعا للجهل و الجهلاء ...)) [34] .

قائمة الزوايا التي استولى عليها الاستعمار الفرنسي بمدينة الجزائر خلال سنتي 1830 . 1831م

1. زاوية سيدي الصيد .
2. زاوية كتشاوة .
3. زاوية الانكشارية بالقصبة .
4. زاوية الانكشارية القديمة .
5. زاوية الولي سيدي الغبريني .
6. زاوية سيدي بتكتة .
7. زاوية الكشاش بالمرسى .
8. زاوية تشيكتون .
9. زاوية يزو مورقو .
10. زاوية المرسى [35] .

الإحالات:

[1] عرف ابن عرفة المالكي الوقف بقوله : (هو إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه و لو تقديرا) . أنظر : أبو عبد الله الرصاع : شرح حدود ابن عرفة ، تحقيق : محمد أبو الأجفان و الطاهر المعموري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت (لبنان) ، ط1 (1993) ، ج 2 ، ص 540 .

[2] عكرمة سعيد صبري : الوقف الإسلامي بين النظرية و التطبيق ، دار النفائس ، عمان (الأردن) ، ط 1 (1428 هـ . 2008م) ، ص 42.

[3] محمد رشيد نوري الديرشوي : شرط الواقف ومدى سلطة ولي الأمر في تعديله ، رسالة ماجستير ، إشراف : بلال أحمد صفي الدين ، جامعة دمشق ، (1430 هـ . 2009 م) ، ص 48 .

[4] محمد مصطفى شلبي : أحكام الوصايا و الأوقاف ، الدار الجامعية ، بيروت (لبنان) ، ط 4 (1402 هـ . 1982 م) ، ص 319 .

[5] هو أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي ، شهاب الدين ، صاحب الخطط المقريزية ، أصله من بعلبك وينسب إلى حارة المقارزة ، فيها ولد ونشأ ، ومات في القاهرة ، ولي فيها الحسبة و الخطابة و الإمامة ، توفي سنة 845 هـ ، أنظر : الأعلام : 172/1 .

([6]) أحمد محمود الشافعي : الوصية و الوقف في الفقه الإسلامي ، د . ط (1414 هـ . 1994 م) ، ص 203 .

[7] تعتبر هذه المدرسة من أهم المدارس بالمغرب الأوسط ، بناها السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الزياني إكراما للعالم " أبو موسى عمران المشدالي الزواوي " ، أعرف أهل عصره بمذهب الإمام مالك ، وظلت هذه المدرسة تمثل أضخم مدرسة بالمغرب الأوسط تقدم وظيفتها التعليمية خمسة قرون ، إلى أن قامت السلطات الاستعمارية سنة 1876 م بتهديمها دون مراعاة للفن و التاريخ ، و نقلت بعض آثارها إلى متحف تلمسان ، و متحف كولوني بباريس . أنظر : محمد بوشقيف : تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع هجريين (14 . 15 م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة تلمسان ، 2010 م ، ص 57 .

[8] تعد مدرسة " ولدا الإمام " أو " أولاد الإمام " كما يسميها البعض أول مدرسة أسسها بنو زيان ببلاد المغرب الأوسط ، حيث تم بناؤها بأمر من السلطان أبو حمو موسى الأول (ت 718 هـ . 1318 م) ، و كان ذلك سنة 710 هـ / 1310 م ، حيث حملت اسم ابني الإمام وهما العالمان الجليلان البرشكيان نسبة إلى البرشك أبو زيد عبد الرحمن و أخوه أبو موسى عيسى الذين كانا أبوهما إمام بأحد مساجد تلمسان ، قال فيهما يحي بن خلدون : (و تركا

بتلمسان خلقا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا و صغيرا بلغ كثير منهم مقام التدريس و العلم والفتيا في النوازل نجابة درس و نظر) .

أنظر : محمد بوشقيف : تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التاسع هجريين (14 . 15 م) ، المرجع السابق ، ص 80 .

[9] ياسين بودريعة : أوقاف الأضرحة و الزوايا بمدينة الجزائر و ضواحيها خلال العهد العثماني . من خلال المحاكم الشرعية و سجلات بيت المال و البايلك ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2006 م ، ص 111 .

[10] ناصر الدين سعيدوني : دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية . الفترة الحديثة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 (2001م) ، 233 .

[11] تذكر بعض الإحصائيات الخاصة بأوقاف الزوايا بالجزائر العاصمة أنه لم يتم تسجيل أي عقد وقفي خلال القرن السادس عشر ميلادي ، في حين تم تسجيل عقد واحد خلال القرن السابع عشر ميلادي ، و 22 و عشرين عقدا خلال القرن الثامن عشر ، و 06 عقود إبان القرن التاسع عشر ، مع تسجيل 06 عقود مجهولة التاريخ ، في حين لم يتم تسجيل أي عقد خلال الفترة الاستعمارية ، كل هذا من خلال سجلات المحاكم الشرعية و بيت المال و الباليك بالأرشيف الوطني . أنظر : ياسين بودريعة : أوقاف الأضرحة و الزوايا بمدينة الجزائر و ضواحيها خلال العهد العثماني . من خلال المحاكم الشرعية و سجلات بيت المال و البايلك ، المرجع السابق ، ص 112 .

[12] فاطمة الزهراء صاري و فتيحة بوخاري : الوقف في الجزائر . دراسة لعينة من عقود رصيد المحاكم الشرعية خلال العهد العثماني 958 هـ / 1231 هـ . 1551 م / 1816 م ، مركز الأرشيف الوطني ، الجزائر ، د.ط (2012 م) ، ص 32 ، 34 .

[13] هكذا وردت في عقود الوقف الموجودة على مستوى مركز الأرشيف االوطني .

[14] فاطمة الزهراء صاري و فتيحة بوخاري : الوقف في الجزائر . دراسة لعينة من عقود رصيد المحاكم الشرعية خلال العهد العثماني 958 هـ / 1231 هـ . 1551 م / 1816 م ، المرجع السابق ، ص 71 .

[15] نقلا عن : محمد بن صديق : الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 115 .

[16] محمد بن صديق : الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 115 .

[17] المرجع نفسه ، ص 119 .

[18] محمد بن صديق : الأبواب المأذونة في بلاد مغراوة و مازونة ، المرجع السابق ، ص 93 .

[19] من أبرز مؤلفاته : ديباجة الافتخار في ذكر أولياء الله الأخيار ، و حلية المسافر و أدبه وشروط المسافر في ذهابه و إيابه ، و الرائق في تدريب الناشئ من القضاة و أهل الوثائق ، وغيرها من الكتب الأخرى .

[20] يعتبر هذا الكتاب من الكتب المعتمدة في المذهب الماكلي ، حيث يقول الإمام الشنقيطي صاحب البوطليحية :

و اعتمدوا نوازل الهلالي و الدر النثير كاللآلئ

كذلك ما يعزى لمازونة و هو المسمى الدرر المكنونة .

[21] أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986 ، ص 43 .

[22] طاهر جنان نقلا عن : مولاي بالحميسي : دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن 15 إلى منتصف القرن 20 ، ص 93 .

[23] له مؤلفات جليلة في المذهب المالكي ، بل تعتبر حاشيته على شرح التتائي لمختصر خليل من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي ، حيث يقول صاحب البوطليحية : و اعتمدوا حاشية للمصطفى على التتائي كسراج ما انطفى .

[24] راسل الباي محمد الكبير الطلبة قائلا لهم : ((يكفيكم الرباط و قراءة القرآن و العلم ، المطلوب منكم الآن هو تلزموا محلتكم و درس كتبكم و قراءتكم فإنا إنما قدمناكم تبركا ليكون قدومنا لها . اي وهران . بالله لا بأنفسنا و لا زائد إلا حبكم و التماس صالح دعائكم)) . أنظر : محمد بوشنافي : دور الطلبة في تحرير وهران الثاني من الاحتلال الإسباني عام 1792 م ، مجلة الثقافة الإسلامية ، العدد 06 ، السنة 2010 ، الجزائر ، ص 61 .

[25] يذكر المؤرخ ابن زرقة أن الشيخ محمد بن شارف المازوني : ((جاء ماشيا من مازونة ودابته تقاد من وراءه و هو يأمر طلبته أن يتداولوا ركوبها ، و كان في قلبه أن يركب و طلبته يمشون ، إلى أن أشرفوا على وهران)) .

[26] موساوي مجدوب و بن كرفة فوزية : إطلالة عن الوقف بمازونة خلال الفترة العثمانية ، الملتقى الوطني الأول حول الشيخ مصطفى الرماصي وأعلام غليزان ، 01 . 02 شعبان 1434 هـ الموافق لـ 10 . 11 جوان 2013 م ، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ، ص 167 .

[27] موساوي مجدوب و بن كرفة فوزية : إطلالة عن الوقف بمازونة خلال الفترة العثمانية ، المرجع السابق ، ص 168 .

[28] مولاي بن حميسي : دور مازونة في الحركة العلمية و الثقافية من منتصف القرن 15 إلى منتصف القرن الحالي (القرن 20) ، نقلا عن : موساوي مجدوب و بن كرفة فوزية : إطلالة عن الوقف بمازونة خلال الفترة العثمانية ، المرجع السابق ، ص 168 .

[29] وردت بهذه الصيغة ، و المقصود بـ " البحيرة " تلك القطعة من الأرض المخصصة لزراعة الخضروات ، هذا بخلاف " الجنينة " التي يقصد بها الحديقة الصغيرة . أنظر : فاطمة الزهراء صاري و فتيحة بوخاري : الوقف في الجزائر. دراسة لعينة من عقود رصيد المحاكم الشرعية خلال العهد العثماني 958 هـ / 1231 هـ . 1551 م / 1816 م ، المرجع السابق ، ص 25 .

[30] موساوي مجدوب و بن كرفة فوزية : إطلالة عن الوقف بمازونة خلال الفترة العثمانية ، المرجع السابق ، ص 174 .

[31] هذا المقهى لازال موجودا ليومنا هذا ، لكنه مغلق .

[32] المرجع نفسه ، ص 161 .

[33] محمد فريد (1868م / 1919) : سياسي و أديب مصري ، رئيس الحزب الوطني خلفا لمصطفى كامل (1908م) من كبار المناضلين لاستقلال مصر ، من مؤلفاته (تاريخ الدولة العثمانية) ، و (تاريخ الرومانيين) ، أنظر: المنجد في اللغة و الأعلام ، ص 414

[34] أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و أثرها الإصلاحي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د . ط (1985 م) ، ص 64 .

[35] ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د.ط (1984 م)، ص 169 .